12me Année No. 566

Lundi - 8 - 5 - 1944

بدل الاشتراك عن سنة

٨٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ١٥ مليما

ابو عمونات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٦٦ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٥ جمادى الأولى سنة ١٣٦٣ — الموافق ٨ مايو سنة ١٩٤٤ السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

صفحة

٣٨١ دفاع عن البلاغة ... ... : أحمد حسن الزيات ... ...

٣٨٣ السلك السياسى . ... : الأستاذ راشد رستم ... ...

٣٨٦ شـعر ناجى ... . : الأستاذ دريني خشبة ... ...

٣٨٩ الألغاز فى الأدب العربى ... : الأستاذ محمود عزت عرفة ...

٣٩١ القرآن الكريم فى كتاب « النثر الفنى » ... ... : الأستاذ محمد أحمد الغمراوى

٣٩٤ نقل الأديب ... ... : الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٣٩٥ الوادى المقدس [قصيدة] : الأستاذ سيد قطب ... ...

٣٩٦ الشعر الجديد .. .. : الأستاذ الكبير (ا . ع)

٣٩٧ كتابة الاسبانية بالحروف العربية ... ... : السيد أحمد مدينة . . ...

٣٩٧ البيت الذى يعدل ألف بيت : الأديب محمد على خليل ...

٣٩٧ بقـايا نغم ... ... : الأديب عبد القادر محمود ...

٣٩٨ كتاب « الفلاحون » والدكتور غلاب . . ... : الأستاذ (د . خ) . . . ...

٣٩٩ سمى حسن . [قصصة] : الأستاذ نجيب محفوظ . .

١٧ ـ دفاع عن البلاغة

٩ ـ التلاؤم فى الأسلوب

بقى الكلام فى الصفة الأخيرة من صفات الأسلوب الجامعة وهى : التلاؤم أو الموسيقية أو (الهرمونية) . وإذا بلغنا هذه الصفحة من قضية البلاغة ، فقد بلغنا موضع التهمة التى تُريب المتهِم ، وتعتسف الدليل ، وتنكر الذوق ، وتُنزل القيم الفنية منزلة العبث . تلك هى تُهمة اللفظ بالأناقة ، والتركيب بالموسيقى ، والأسلوب بالرفعة . ولو كانت هذه التهمة الجريئة تقصد الجمال المزيف والحسن المجتلب لما حكّ فى الصدور من ناحيتها شىء ؛ ولكنها تقصد التعبير الجميل الذى يتميز به كلام الأديب عن كلام الناس ، وصوت المغنى عن صوت الحمار ، ورسم المصور عن تناشير الطفل . والرواية على الجمال اللفظى بهذا التعميم وهذا الإطلاق بدعة من بدع هذا العصر الذى اعتلت به الأذواق واختلت فيه المقاييس . وليس لأكثر البدع مسوّغ من الفطر السليمة والفِكَر الصالحة . إنما هى نزوات فى بعض الرءوس ، أو نزغات فى بعض النفوس ، تصدر عن شذوذ فى الفكر أو حَصَر فى الذوق أو عجز عن الكمال . وإلا فكيف تعلل إنكارهم تجميل الأسلوب وهم لا يفتأون كسائر الناس يطلبون الجمال فى شتى ضروبه ومختلف صوَره ؟ لماذا يثورون على تنميق الكلام بدعوى أن الغرض منه الفهم

والعلم ، ولا يثورون على تزيين الطعام وتحلية الهندام وتزويق المسكن ، والغرض الأصيل منها الغذاء والوقاء ؟ لِمَ لا يقفون موقف الحيوان عند حدود الضرورة من مآرب العيش ومطالب الجسد ، فلا يتفننوا فى تلاؤم الأجزاء فى اللباس المهندم ، ولا يتأنقوا فى تنضيد الألوان على الخوان الموشّى ، ولا يتنافسوا فى تنجيد الأثاث للبيت المزخرف ؟ وإذا كان أحدهم لا يحب أن يلبس الثوب المرقع ، ولا أن يسكن الكوخ النابى ، ولا أن يتزوج المرأة المسيخة ، ولا أن يسلك الطريق الوعر ، ولا أن يركب المركب الخشن ، فلماذا يكره أن يسمع الكلمات العذبة والفقر المتسقة والجمل الموزونة والأصوات المؤتلفة ، والنظر والسمع فى هذا المقام سواء « فإن هذا حاسة وهذا حاسة ، وقياس حاسة على حاسة مناسب »[1] « وجميع جوارح البدن وحواسه تسكن إلى ما يوافقه ، وتنفر عما يضاده ويخالفه . والعين تألف الحسن وتقذى بالقبيح ؛ والأنف يرتاح للطيب وينفر للنتن ؛ والفم يتلذذ بالحلو ويعج المر ؛ والسمع يتشوف للصوت الرائع وينزوى عن الجهير الهائل ؛ واليد تنعم باللين وتتأذى بالخشن ، والفهم يأنس من الكلام بالمعروف ، ويسكن للمألوف ، ويصغى إلى الصواب ، ويهرب من المحال ، وينقبض عن الوخم ، ويتأخر عن الجافى الغليظ . ولا يقبل الكلام المضطرب إلا الفهم المضطرب والروية الفاسدة »[2]

الحق الصريح أن الذين يدّعوننا أن نكتب كما نتكلم إنما يزوّرون حقيقة الفن فيهم بنقيصة العجز منهم ، بدليل أنهم يجدون فى أنفسهم حلاوة الرضا إن وقعت فى كلامهم عفوا كلمة أنيقة أو جملة رشيقة أو سجعة محكمة . ذلك لأن الإنسان يتميز من سائر الحيوان بأن أحاسيسه التى تصل إليه عن طريق المشاعر ، وعواطفه التى تنشأ فيه من فعل الغرائز ، إنما تتوالد فى ذهنه وتتكاثر فى خياله حتى تزيد على ما تقتضيه طبيعة وجوده أضعافاً مضاعفة . هذا القدر الموفور المذخور من العواطف والأحاسيس لم يزل يطلب متنفّساً ينبثق منه ومفيضاً ينسرب فيه حتى وجد الفنون الجميلة الأربعة فاستفاض مخزونه واستمان مكنونه بتسجيع القلم وترجيع الفيثار وتلوين الريشة وتمثيل المنحت . فالإنسان كما قال طاغور فنان فى الكثير الغالب من أمور دنياه ؛ فهو يجمّل الهيئة ويحسّن الشارة وينمق العبارة ويهندس الدار ويرقّش الغرف ويزخرف الأثاث ويتمم الحديقة إعلاناً لشعوره وإبرازاً لشخصه وإثباتاً لوجوده

وهو يشيد المعابد الفخمة ، وينصب فيها التماثيل الرائعة ، ويرسم عليها الصور البارعة ، تعبيراً عن مكنون عواطفه لربه ودينه

وهو كذلك يخطط المدائن الجميلة ، ويمهّد الشوارع الظليلة ، وينسق الحدائق العامة ، تنفيساً عن مكظوم عواطفه لأمته ووطنه

من ذلك تعلم أن جمال العبارة وجلال الأسلوب من الصفات المشتركة فى جميع الناس ، تتفق فى الوجود والمظهر ، وتختلف فى الطاقة والدرجة . فالعامة يستعملون الوزن والسجع والجناس متى جاشت فى صدورهم عاطفة أو جرت على ألسنهم حكمة ، فمواويلهم وأناشيدهم وأغانيهم موزونة أو موقعة ، وأمثالهم وحكمهم وضوابطهم مزدوجة أو مسجّعة . وكلما سمت الطبقة واتسعت الثقافة وصدق الشعور وصفا الذوق وأرهفت الأذن سما الأسلوب من الجميل إلى الأجمل ، ومن الجليل إلى الأجل ، حتى يبلغ الأوج عند كلام الله . إن جمال اللفظ وطلاوة التعبير تابعان لقوة العاطفة وجلالة الموضوع ، لا فرق فى ذلك بين أدب العامة وأدب الخاصة ؛ فلغة القضاء بين البدو لا تزال إلى اليوم فى بوادى العروبة تجرى على سَنَنها المتبع فى الفصاحة وإن كانت عامية ؛ فالمتهِم يتهم بالسجع ، والمدافع يدافع بالسجع ، والقاضي يحكم بالسجع . والأصل فى سجع الكهان الجاهليين ذلك السمو الذى كان يحسه الكاهن فى نفسه وفى مقامه ؛ فقد كان كهان العرب ككهان الإغريق يزعمون أنهم مهبط الإلهام وأنجباء الأرباب ، فكانوا يسترحمونهم بالأناشيد ، ويستلهمونهم بالأدعية ، ويخبرون الناس بأسرار الغيب فى جمل مختارة الألفاظ مسجوعة الفواصل لتكون أسمى من كلام الناس وأجدر بصدورها عن الآلهة

أريد أن أقول إن توخى الجمال المطبوع فى الأسلوب أصل فى طبائع الناس امتد منها إلى تكوين اللغة وإنشاء الأدب . فإذا سلمت فى المشيء الفطرة وواتته الملكة وساعده الاطلاع ، وكان قد تضلع من علوم اللسان وأحاط بأسرار اللغة ، صدر عنه الكلام رقيقاً من غير قصد ، أنيقاً من غير كلفة

(للكلام بقية) أحمد حسن الزيات

(١) المثل السائر ص ٥٦ (٢) الصناعتين ص ٤١

السلك السياسى

للأستاذ راشد رستم

(أنشر هذا الحوار تسجيلا لصورة عن جانب من جوانب التفكير فى المجتمع الحديث)
الكاتب

أ — ما هذا الحذاء ؟

ب — ماذا ... ألا يعجبك ؟ إنه من الصنف الغالى ، دفعت ثمناً له خمسة جنيهات ...

— لا . لا أقصد ذلك

— ماذا تقصد ؟

— أقصد لماذا اخترته من هذا الشكل ذى الرقبة ؟

— ولِمَ لا !

— إنها « مُودة » قديمة

— ولماذا إذن يعرضونها الآن للبيع ؟

— ليشتريها أهل « المُودة » القديمة ... ثم ...

— ثم ماذا ؟

— ثم ليشتريها أولئك الذين يلبسون الجوارب التى من الصنف الرخيص ...

— وما دخل هذا فى ذاك ؟

— كيف ! ألا تدرى ؟ أتقول حقاً ؟

— نعم . لا أدرى . لأنى ألبس أجود أنواع الجوارب

— ولكن ألا تدرى أن رقبة الحذاء تحجب الجوارب عن الأنظار ...

— وماذا فى ذلك !

— لا يا أستاذ . لا بد أن تكون جواربك ظاهرة يراها كل من يجالسك . ولا يتم ذلك إلا بلبس حذاء لا رقبة له ...

— أو ترك الحذاء بالمرة ...

— لا تهزأ ... فهذه ملاحظة فى محلها ...

— حينئذ إذا كانت هذه القاعدة لها خُطورتها فأرجو أن تدلنى على طريقة لإظهار جميع ملابسى الداخلية ، فإنها فى الواقع من أجود الأصناف ...

أ — هذا له ظرفه الخاص ، ويلوح لى أنك تقتنيها من أجود الأصناف لهذا الظرف الخاص ... ومع ذلك فإن ظروف الإظهار تختلف باختلاف المواقف . ولا أظن أنك تجهل ذلك يا سيد العارفين ...

ب — إن هذه الملاحظات جديدة فى نظرى ، برغم أنى نشأت على أن أعرف مواضع الأشياء ، ولكن أنت أعلم منى فى ذلك لأن سلككم يقضى عليكم بمعرفة أشياء كثيرة لا يعرفها الكثيرون الآخرون كما ظهر لى الآن ...

— هذا حقيق ، ولكنه لا يمنع أن يعرف غير رجال السلك كيف يلبسون وكيف يظهرون وكيف يتظاهرون ... ، وها أنت ذا واحد من هؤلاء الراسخين فى اللبس ...

— أشكرك . ولكن رجال السلك بدون شك هم النموذج الذى يحتذى فى كل المناسبات وكل البلاد

— بهذه المناسبة أتعرف ما هى أحسن طريقة لإظهار القميص الأفرنكى إذا كان من أجود الأصناف ؟

— لا ...

— هى أن تلعب البلياردو ...

— البلياردو ... ! وماهى الصلة بين القميص والبلياردو ...؟

— ... تدخل صالة اللعب ، وهى عادة كبيرة وفيها ناس كثيرون ، وتأخذ فى الاستعداد للعب مع زملائك ، وتتظاهر بعدم تحملك حرارة الصالة وحرارة الحركة ، فتخلع الجاكتة فيظهر القميص فيراه الجميع ...

— عظيم . والجهل باللعب ؟ !

— أمر ثانوى . غير مهم . وكذلك المكسب أو الخسارة . وكذلك « النشومية » غير مهمة لأن الأغلبية لا تعطى بالا لهذه الاعتبارات ... حتى أنك إذا أتلفت جوخ الخوان ، وهو كما تعلم ثمين جداً ، ... كل ذلك يهون فى سبيل إظهار القميص ...

— أمازح أنت أم جاد ، أم أنك تهزأ بمن ليس من سلككم ؟!

— حاشا لى أن أقول غير ما أقصد

— أو تقصد غير ما تقول ...

— وما الفرق ؟

ب — فرق بسيط . غير مهم . هذه كلمة خاطفة ، لا تعطها بالا . كمّل . كمّل ...

أ — نعم خذ أنت بالك ودعك من التلاعب بالمعانى وبالألفاظ . فهذا زمانه مضى . وأما الوقت الحاضر فيدعو إلى الكشف والوضوح . والذى أريد أن أقرره من كل الذى جرنا إليه الحديث الآن هو أن المظهرية ، نعم المظهرية ، مسألة هامة جداً

* * *

ب — هذا واضح جداً جداً . ولكن هل معنى ذلك أنك تفضل المظهرية على الحقيقة ؟

— إسمع يا صديقى . إن الحقيقة تعرف شأنها ، وهى موجودة . ولكن المظهرية لا بد لها ممن يخدمها ويعمل لها وفى سبيلها ، وإلا ضعت يا أستاذ بين الحقيقة والناس . . .

— ولكن ألا ترى أنه خير للعاقل أن يفنى فى سبيل الحقيقة من أنه يعيش فى رداء المظهرية !

— إسمع كلامى واعمل بفلسفتى ، مع العلم بأنها فلسفة شاملة للجميع . دع أفلاطون الذى كان يبحث عن الحقيقة . ثم دع الحقيقة كذلك آمنة فى خدرها . إنها إن أرادت الظهور فهى ظاهرة ظاهرة ...

— وأما المظهرية فهى لا شك فى حاجة إلى من يعمل لها أمثالكم ... أليس كذلك ؟

— هو كذلك لا شك ...

— ولكن خبرنى . أليست الحقيقة أولى بهذا المجهود !

— قلت لك إن الحقيقة قوية بذاتها وهى ليست فى حاجة إلى أمثالنا

— أو أن أمثالكم ليسوا فى حاجة إليها !

— هذا وهذا ...

— وخبرنى كذلك ، هل يوجد كثير من أمثالك على هذا الرأى ؟

— الدنيا كلها ...

— أقصد فى سلككم الخاص ...

— الجميع يا أخى . هذا أمر مفروغ منه

— ولكن هل يتعلم الشخص فلسفة المظهرية بعد أن يلتحق بالسلك ، أم هو لا يقبل ضمن السلك إلا إذا كان يعلمها من قبل ؟

— هذا سؤال طيب . نعم الأوفق أن يكون الشخص عالماً بفلسفة المظهرية مستعداً لها قبل أن يدخل السلك ، على أن السلك يعلمه بعد ذلك الدقة فيها وحسن التصرف وحسن السبك ...

— أفادك الله ... إذن سأفكر فيما يصلح لى ...

— أتريد أن تلتحق بالسلك ؟

— لا . لا . أبداً أبداً . إنما أريد أن أفكر فى شأنى وشأن أمثالى وشأن هذه الأفكار ...

* * *

أ — وإلى أن تفكر وتهتدى إلى حل أنظر إلى حذائى وخبرنى عن نوع جلده

— هو جلد ثعبان

— براڤو ! وجلد هذه الحقيبة ؟

— جلد ثعبان كذلك

— براڤو !

— ولكنى لا أدرى إن كان جلد الحقيبة وجلد الحذاء هو من الثعبان ذاته

— هذا لا يهم

— ولكن بالله اشهد . أليست هذه ملاحظة تدل على الدقة وحسن السبك ؟

— أتريد أن تقول إنك تصلح للسلك ؟ وهل فى هذا شك ياصديقى ؟

— ولكن اسمح لى ...

— ماذا ؟

— ملاحظة أخرى وإن كانت ، على ما أظن ، لا تجعلنى صالحاً للسلك . وعلى الأقل فى نظرك أنت

— قل . قل . ما هى ؟

— هل تظن أن من العقل أو من الذوق أو من كليهما معاً ومعهما غيرهما . . . أن يلبس الرجل حذاء من جلد ثعبان ، فى حين أن أحق الناس بذلك هو الجنس اللطيف ؟

وما المانع يا أخى !

— والله إذا كانت المسألة مسألة مانع ، فإن الموانع كثيرة . هذا إن أردت الحقيقة . ولكن لا . لا . لا تؤاخذني فإن الحقيقة في خدرها ...

— أنا لا أرى مانعاً ما دمت تملك المال الذي تشترى به جلد ثعبان وتصنع منه الحذاء وحقيبة السفر وحقيبة الورق وحقيبة الجيب الخ ...

— وهل المسألة مسألة فلوس ؟ وليس للاعتبارات الأخرى أي تقدير ؟!

— أي اعتبارات أخرى ! مع العلم بأن جلد الثعبان ثمين جداً وهو « مودة » حديثة جداً

— لا أقصد كل هذا

— إذن أنت تقول ما لا تقصد ... أو تقصد ما لا تقول .

— دعنا من هذا المزاح السياسي ... ولنترك مسألة الجلد وخبرني عن نوع الجورب الذي تلبسه ....

— من الحرير . ثم انظر إليه وإلى رباط الرقبة وإلى المنديل والقميص

— شيء جميل جداً . كلها من نوع واحد . وهكذا تكون ملابسك مكونة من مجموعات

— حقاً . إنني أميل إلى هذا الشكل من الملابس

— ولكن هذا يتطلب تعباً وتفكيراً ومجهوداً ووقتاً ونقوداً . فهل عملك يسمح بذلك !

— من غير شك . مع العلم بأن كل هذا هين في سبيل ...

— المظهرية ...

— برافوا !.. وهذه هي الحقيقة ...

— نعم . لقد ظهرت من خدرها ...

— ألم أقل لك إنها قوية لا تحتاج إلى أحد

— نعم نعم . ولكن قل لي ، لماذا أنت تلبس كل هذا اللبس العالي الفخم مع أنك على سفر ؟

* * *

كان هذا الحديث في القطار بين بور سعيد والقاهرة . وكان أن الصديقين التقيا في محطة بور سعيد . وكانت مصادفة أخوية نادرة إذ يلتقيان على هذه الحال بعد غياب أحدهما في الخارج غياباً طويلاً . لذلك أسرعا فاتخذا مكانهما في القطار معاً ، ثم كان ذلك الحديث الطريف ... على أن الصديق (ب) لحظ على صديقه (أ) شيئاً من القلق وعدم الاستقرار ، فسأله الخبر فكان « يتظاهر » أيضاً بأن ذلك من متاعب السفر ... ومع ذلك قام يمشي في دهليز العربة يفحص الجالسين كمن يبحث عن شخص بالذات . ولما عاد إلى مجلسه من طوافه سأله صديقه عمن يبحث ؟

أ — عن صديق كان معي بالباخرة وسمعته يقول إنه سيسافر في هذا القطار

ب — وهل وجدته ؟

— للأسف لا ...

— ربما تخلف

— ولكن كان يهمني جداً أن يكون موجوداً في هذا القطار

— هل لي أن أسأل عن سبب اهتمامك به !

— نعم بكل سرور . اسأل ...

— لقد سألت ...

— آه ... نعم ... بالطبع يكون حسناً لو كان معنا ...

— وإذا لم يكن معنا فهل في هذا ضرر عليك ؟

— لا . ولكن كنت أود أن يكون معنا

— هل أعرفه ؟

— لا ...

* * *

ثم جملا ينتقلان من حديث إلى حديث إلى أن بلغ القطار محطة الإسماعيلية . ولما تحرك لمواصلة السفر قام الصديق (أ) من مكانه مذعوراً

أ — ها هي ... ها هي ... يالله الخسارة !..

— ما بالك يا أخي ؟ من هي ؟ وما هذه الحركات ؟ اجلس اجلس

أ — يا للخسارة ! ولكن لا تزال الفرصة موجودة . بل لقد سنحت الفرصة

— ما هي الحكاية ؟ خير ! خير إن شاء الله

— الحكاية طويلة . وهناك في الإسماعيلية إن شاء الله ستكون نقطة التحول في الوقعة ...

٣ ـ شعر ناجي

للأستاذ دريني خشبة

١ — فصول غير مكتوبة
٢ — قليل عن حياة ناجي وثقافته
٣ — ماذا نرجو من ناجي
٤ — بعض ما يؤخذ على ناجي

لولا خشيتنا ألا ننتهي من الكتابة عن ناجي ومن الثناء عليه ، لعقدنا فصولاً طوالاً عن غزله الرقيق العذب ، وعن فكاهته الحلوة الهادئة ، وعن سخريته اللاذعة اللاذعة ، وعن فلسفته الضاحكة المتفائلة التي تُبطن قليلاً من الشك لا يلبث أن يضيء عليه أضواء إيمانه العميق فيمحقه ، وعن وطنيته التي تبشر وتهدي وتتفتح بالآمال في غير بكاء ولا إعوال ... وعن فهم ناجي لهذه الحياة الجديدة الصاخبة التي تحترب من حولنا وتتفاعل في دؤوب وجد ... وفي بحار من الدماء أحياناً ... ولولا خشيتنا ألا ننتهي من الكتابة عن ناجي لعقدنا فصلاً طويلاً عن حياته ونشأته وتعلمه ، لنعلم مثلاً أنه ولد في آخر ليلة من ليالي سنة ١٨٩٧ ،[1] وأنه يكره أن يجعل هذه الليلة تاريخاً لمولده ، وأنه يرى من العدل أن يؤرخ لمولده بأول يناير سنة ١٨٩٨ ، لأنه لم يعش في القرن التاسع عشر إلا عامين اثنين على حد قوله ، وثلاثة أعوام حسب أصول الطرح الصحيح . ثم لنعرف أنه كان تلميذاً نابغاً ذكياً ، مثله الآن ، لأنه لا يزال تلميذاً نابغاً ذكياً ، وإن تغيرت مدرسته فأصبحت مكتبة كبيرة ، أو ثلاث مكتبات كبيرات حشد فيها خمسة أو ستة آلاف من كتب الأدب والفكر ... والطب ... وأنه حشد فيها تلك الآلاف من الكتب لا للزينة والتباهي ، ولكن للقراءة العميقة المنظمة ... وإن من هذه الكتب ، كتباً إنجليزية ـ وهي الكثرة الغالبة وأن منها كتباً فرنسية ، وكتباً ألمانية ، لأن ناجي ، كما أخبرني ، كان مولعاً بالحصول على الشهادات العلمية ، ولذلك فهو قد ثقف الإنجليزية والفرنسية والألمانية ليحصل على عدد من الدرجات العلمية من انجلترا ومن ألمانيا . وبعد أن شفي

(١) ولد الشاعر بشبرا القاهرة وهو حفيد الشيخ عبد الله الشرقاوي الكبير وتعلم في مدرستي باب الشعرية والتوفيقية ، ثم تخرج في مدرسة الطب .

— خير إن شاء الله ... هل وجدت صديقك ؟
— نعم . نعم . وجدتها ...
— من هي ؟ أصديقك هذا سيدة ؟
— سيدة بالطبع ...
— ما أكثر سيداتكم يا « رجال » السلك !
— وهل ظننته رجلاً ؟
— بالطبع . لأنك قلت صديق ولم تقل صديقتي ...
— ألا تعرف أن صديق في عرفنا معناه صديقتي ...
— لا . لم أكن أعرف ...

* * *

جلس الصديق (أ) حائراً سارحاً بعد الذي رأى عما أفرز محطة الاسماعيلية ، وتولاه شيء من التفكير والوجوم ، ثم أخرج سجارة من علبة مصنوعة كذلك من جلد ثعبان . ثم أشعلها بولاعة ذهبية بديعة كان ينقصها أن تكون مغطاة بجلد ثعبان ...

ثم تذكر أنه لم يعرض على صديقه سجارة ، فأخرج العلبة مرة أخرى وقدم منها سجارة لصديقه (ب)

ب — (وقد أراد تغيير مجرى الحديث) إنها سجارة مصرية فاخرة . لا شك أنك بمجرد وصولك أرض الوطن اسرعت فاشتريتها

— لا . لا . إنها معي من أوربا
— من أوربا ؟ كيف ؟
— لأني أدخن السجاير المصرية هناك
— شيء جميل ! ذلك لأنها مصرية
— نعم . ولأن لها ميزة الأفضلية
— (مداعباً) قل الحق . لها ميزة الظهرية ...
— (مبتسماً) ها هي ذي الحقيقة يا سيدي برزت من تلقاء نفسها . أمسرور أنت إذن ؟
ب — بل إن للسلك السياسي لسحراً

راشد رستم

ظمأه من شهادات هذه البلاد الطيبة ، شرع يروى من آدابها بلغاتها الأصلية ، ولعلى لا أبالغ إن ذكرت أن ناجى يجيد الإيطالية إلى حد ما ، وأنه يستطيع أن يقرأ الأدب الإيطالى بلغته الأصلية

كان ينبغى أن نعقد فصلاً عن ثقافة ناجى التى تزتوى بكل هذه الثقافات ، وتنهل من مناهل الآداب العالمية التى تتصل بها اتصالاً منظماً ؛ وربما كانت قد أتيحت لنا فرصة نذكر فيها طريقة ناجى فى تنظيم ثقافاته هذه كلها ، ووضع الحدود بينها حتى لا تصير خليطاً يشحب إلى جانبه لون خاصته الأولى[1] وأعنى قرضه للشعر ؛ فقد كلمنى أحد الأصدقاء عن ناجى فرأيته يزعم أنه أوشك أن ينقطع عن نظم الشعر ، إن لم يكن قد انقطع عن نظمه بالفعل . والذى أعرفه أن ناجى لا يزال بعنى كعادته ، وإن يكن قد انقطع بالفعل عن النظم الكثير بين عامى ١٩٣٤ ، ١٩٣٨ ، وذلك لأسباب لم يحن الوقت لذكرها ، أما بعد سنة ١٩٣٨ ، فقد أخذ ملك الكنار يعود إلى شدوه الأول وشجوه القديم . وليس صحيحاً أن شعر ناجى فى صباه خير من شعره الحالى ، وإن كنت قد أوردت جميع الأمثلة التى ذكرتها فى مقالى السالفين من ذلك الشعر ؛ فقد آثرت أن أفعل ذلك لكى يستطيع من يريد الرجوع إلى شعر ناجى أن يجده مجموعاً فى ديوان مستقل ، لا متفرقاً فى عشرات المجلات ، أو مختزناً فى رأس الشاعر (!!) ... وذلك أن ناجياً لا يقيد شعره فى ديوان أو كراسة ، كما يصنع عباد الله الشعراء ، وهو حين ينظم المقطوعة أو القصيدة فهو إنما ينظمها فى رأسه ... أى فى ذهنه ، وهو لا يتناول قلماً وقرطاساً ، ثم يخلو إلى نفسه كما يستوحى معظم الشعراء ملائكتهم — أو شياطينهم — ولكنه ينظم شعره كلما هاجته دواعى الشعر وهواجسه ، فهو ينظمه فى الخلوة ، كما ينظمه بين يدى الحبيب . وهو ينظمه فى الحدائق ، كما ينظمه فى زحمة الترام . وهو ينظمه نائماً أو مستيقظاً ... ونحن نأسف لأن ناجياً لم يجمع شعره منذ سنة ١٩٣٨ إلى الآن فى ديوان يكون بأيدى محبى فنه والمفتونين به من قرائه الكثيرين فى الأمم العربية . وليس يخفف من هذا الأسف أن ثلاثة أرباع هذا الشعر مسجل فى صفحات الرسالة ، لأن هذا التسجيل لا يسعف إلا الأقلين بالرجوع إلى هذا الشعر

* * *

وبعد ... فماذا فى جنة ناجى الوارفة الظلال من حَسَك وسَعدان وأشواك ؟ وماذا ينقص هذه الجنة الدانية القطوف مما فى جنات أولئك الشعراء الأمجاد : شلى ، وبيرون ، وكيتس ، ووردزورث ، وسكوتس ، وتنيسون ، وپوب ، وشيكسپير ، وبرونتج وغيرهم وغيرهم من شعراء الإنجليز والفرنسيين والألمان والإيطاليين والأسبان وقدماء اليونان ممن كانت أرواحهم تهمهم حولنا وتغمغم ، وتطل علينا من خزائن كتب ناجى ، وتكاد تُغنّى لنا وأنا أحدثه عنها جميعاً ؟ لقد أوشكت أن أترك هـــذا السؤال بين يدى ناجى ، ثم أفرغ من نقده ! لقد رأيت فوق مكتبه ديوان الشاعر الإنجليزى الشاب كيتس ، فتناولته ثم ضحكت ... ثم أخبرته ، وقد سألنى ، أننى كنت أقرأ فى هذا الديوان قبل أن ألقى ناجى بدقائق ، منظومته الرائعة الخالدة (أنديميون) ... وأننى كنت أقرأها لأهيئ من مأساة تأليفها ونقدها رداً صامتاً على نقاد هذا الزمان ، الذين يحلو لهم أن يقضوا على شعرائنا الشباب كما قضى نقاد كيتس على كيتس ، فمات فى ريعان الصبا وشرخ الشباب ضحية هؤلاء العلماء الظالمين الذين لا يرضيهم إلا أن يقذفوا فى نار الجحيم بشعرنا وشعرائنا ونقدنا ونقادنا ممن يعرضون أقلامهم وكراماتهم لدفع أذى أولئك العلماء المُتاة الظالمين عن جنود أدبنا ومعقد رجائنا فى مستقبل هذا الأدب

فهل يخشى ناجى أن ينظم لنا غرة مثـــل أنديميون ، أو درة مثل أدونيس ؟ ألا يذكر ناجى أى أثر تركته فى نفسه أدونيس التى نظمها شلى تخليداً لذكرى كيتس ، بمناسبة موته من جراء الحملة الظالمة التى شنها عليه حضرات النقاد الظالمين ؟ لقد جرب ناجى النظم ، وقد أعطانا مثالاً شائقاً فى ديوانه

(١) لا جدال فى أن خاصة ناجى الأولى هى قرض الشعر وإن كان من العدل بل من الانصاف أن نقرر أنه طبيب لا يعدل بمهنته شيئاً فى الحياة ، وأنه يملأ مكتبته بالكتب الطبية التى يدرسها فى عناية وعمق . وكان المرحوم شوقى بك يثق به ثقة لا حد لها حتى كاد يكون ناجى طبيبه الخاص ، وهكذا يصنع كثير من القاهريين . ولناجى قدرة وطلاقة عجيبة فى المحاضرة فى علوم مختلفة بلغات مختلفة .

الصغير المتواضع تحت عنوان : قلب راقصة ... تلك الأقصوصة التي تؤكد ما ذهبنا إليه من نبل شاعرية ناجي وجمال تصويره للحياة وتفجر الشعر من قلبه وتدفقه من دمه ، وقد جرب ناجي نظم الملاحم ، فأنشأ ملحمتيه الرقيقتين اللتين لم تطبعا بعد : الأطلال ، وليالي القاهرة ، وكل منهما في حوالي ألف بيت ... فهل يحسب ناجي أنه أدى واجبه نحو الشعر العربي ، والأدب المصري الحديث ، بهذا القدر الضئيل من الجهد المشترك ؟ أليس يروع ناجي ما يرى من الفراغ المفزع في دواوين شعرائنا شيباً وشباناً ؟ أيستطيع أن يقارن بين هذه الدواوين وبين تلك المئات من دواوين الشعراء الأوربيين الذين كانت أشباحهم تشرف علينا من خزائن كتبه ؟ أخشى أن يكون ناجي شاعراً أنانياً ، يقرأ كل هذا القدر من الشعر ، ولا يعطي الناس غير تلك الصبابات من القصائد والمقطوعات ... إنما تريد تجاوباً بين ناجي وبين أصدقائه بين أولئك الشعراء المحبوسين في خزائنه ... لقد أنجبت مصر ناجياً ليكون بلبلاً من بلابلها التي تأسو بغنائها أضعاف ما تأسو بطبها ... لقد أردنا أن نكتب عن ناجي فبدأنا بالكتابة عن قلبه ... فأين قصة ذلك القلب ؟ أين هذه القصة الكبيرة الطويلة ذات الصور والتهاويل التي يجيد ناجي إبداعها ؟ إن بيرون حينما أنشأ دون جوان أو تشيلد هارولد ، وشلي حينما نظم روزاليند وهيلين وقصصه الباكيات الأخر ، وشيكسبير حينما نظم فينوس وأدونيس ... وشعراء الغرب حينما نظموا قصصهم البارع العالي ، إنما كانوا ينظمون قصص قلوبهم الفتية الكبيرة النابضة ... فأين قصص قلوب شعرائنا في غير البيت أو البيتين أو القصيدة أو المقطوعة ؟ ومن غير ناجي ومن هم من طراز ناجي ممن ثقفوا أساليب الأدب الأوربي ، ونهلوا من معينه يستطيعون أن يسدوا تلك الثلمة في الشعر العربي ؟

ولا أستطيع بعد هذا أن ألاحظ شيئاً على أشعار ناجي يمكن أن يؤبه له أو يعتد به . وإن كان لا بد من ملاحظة شيء والتصريح به ، فهو هذا التهافت القليل الذي ينتاب بعض أبيات ناجي ... وهو تهافت مادي في غالب الأمر ، أي من ناحية التركيب والأسلوب . ولا شك في أن السبب في ذلك هو ما يأخذ به ناجي نفسه من طريقته العجيبة في قرض شعره ، وبالأحرى ... نظمه أشعاره بتلك الطريقة الغيبية التي لا يستعين فيها بقلم أو قرطاس . ونحن نعرف من علوم النفس والتربية أن الشيء الذي يستعمل الإنسان فيه أكثر من حاسة واحدة تكون دراسته ووعيه أكثر إتقاناً مما إذا اقتصرنا فيه على حاسة واحدة أو حاستين في الوقت الذي نستطيع أن نستعمل فيه أكثر من ذلك . فلو أن ناجياً كان يتناول قلماً وقرطاساً ليدون أشعاره وقت نظمها لاستطاع أن يعيد فيها نظره ويجيل عليها عينيه ، ولأجرى عليها عملية التجويد . وإذا هو أشرك مع عينيه أذنيه ، ثم لسانه ، أي جعل يرددها ، أو (يدندن !) بها ، إن صح أن نستعمل هذا التعبير المصري لجاءت كل أشعاره مصقولة على غرار واحد وتجنب ما يندُّ به ذهنه من الانحراف النحوي أحياناً : كقوله في رثاء المرحوم طانيوس عبده :

إجمع الآن طاقةً غضَّةَ النور تبتسمْ
أهدها روح شاعرٍ خالدٍ بالذي نظمْ

فقد عدَّى أهدى بغير لام أو إلى وهي لا تتعدى إلا بهما . وكقوله في الشك :

تغلو الحياة بها إلى أن تنتهي عند التراب رخيصة كتراب
يا هيكل الحسن المبارك ركنه الساحر النور الطهور رحاب

فقد جرَّ رحاب في غير موضع للجر ، وإن احتج بالضرورة الشعرية ، فليس بعيب الشاعر الناضج إلا أن يحتج بها . ومن ذلك استعماله دوى مكان دوَّى بالتشديد

وعلى ذكر رثاء طانيوس عبده ... لقد ذكر ناجي أبياتاً لم يكن (بليق !) أن يذكرها قط في ديوانه وإن يكن قد ذكرها في الحفلة ، ولن أزيد الطين بلة فأذكرها هنا

وإلى أن يصدر ناجي الجزء الثاني من ديوانه فنحن نحييه ونعقد عليه أحسن الآمال

دمشق

خليل مطران

١ ـ الألغاز في الأدب العربي

الأستاذ محمود عزت عرفة

اللغز ... ومرادفاته

قد يبدو لأول وهلة أن الألغاز فن مستحدث تضرب إلى أدبنا العربي في عصوره المتأخرة ، فلهج به المتخلفون من الأدباء حتى أصبح فناً قائماً بذاته ، وغرضاً في النثر وفي الشعر تنصرف إليه الغاية ، وتُصاغ فيه الرسائل والمقطعات ، كما نرى ذلك في العصر التركي وما تلاه من عهود الانحطاط

على أن النظرة الشاملة تنفي عن أذهاننا هـذه الفكرة الخاطئة ، وتكشف لنا عن مدى تسلسل هذا الفن مع العربية منذ أقدم عصورها

والواقع أن الألغاز ـ وما يجري مجراها ـ لا تعدو أن تكون ضرباً من التعبير عماده الفطانة والفهم وحسن التأتي والفطنة من القائل ومن المستمع جميعاً ؛ وتلك نفحات ذهنية كان للعقل العربي بها منذ نشأته أوفر نصيب . واشتقاق « اللغز » في اللغة يشير إلى قدم هذه التسمية أو قدم مدلولها على الأقل ، إن لم يمكن التثبت من إطلاقها على هذا الفن نفسه منذ العهد الجاهلي

يقول قدامة في كتابه نقد النثر : أما اللغز فإنه من ألغز اليربوع ولغَّز إذا حفر لنفسه مستقيماً ثم أخذ يمنةً ويسرة ، ليعمي بذلك على طالبه ، وهو قول استُعمل فيه اللفظ المتشابه طلباً للعماية والمحاجاة

وأورد ابن الأثير قريباً من هذا ثم أضاف : وقيل ـ يعني في الألغاز ـ جمع لَغْز بفتح اللام ، وهو ميلك بالشيء عن وجهه ...

هذا وللغز مرادفات كثيرة يوردها أكثر المصادر من غير تفرقة ولا تحديد ، فيقال له (اللحن) وهو التعريض بالشيء من غير تصريح ، أو الكناية عنه بغيره . ومن ذلك قوله تعالى في صفة المنافقين : (ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول) قال الزمخشري : أي في نحوه وأسلوبه ، وقيل اللحن أن تلحن بكلامك أي تميله إلى نحو من الأنحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض والتورية ...

ويطلق على اللغز أيضاً العمّي والترجم والأغلوطة ، والأحجية والمحاجاة (لدلالة الحجا عليه) ، والأدعية مثل الأحجية ... وأنشد الجوهري في الصحاح :

أداعيكَ ما مُستصحَباتٌ مع اليُسرى
حِسانٌ وما آثارهُنَّ حسان !

وقال يعني السيوف . ويقال للغز أيضاً (الألقية) وهي ما يلقى بقصد الاختبار وطلب التعجيز ، و (المعاياة) ولعلها من تطلب الإعياء أو إثبات العي . وكل هذه ألفاظ تتقارب معانيها حتى لتكاد تومئ إلى مدلول واحد . ولقد حاول ابن الأثير في « المثل السائر » أن يفرد من بين ذلك ما سماه (المغالطات المعنوية) فيجعله نوعاً ، ثم يضم الأحاجي والأغاليط والألغاز والمعميات فيجعلها نوعاً آخر

تقسيم ابن الأثير

وهو يقول عن النوع الأول الذي سماه المغالطات المعنوية : حقيقته أن يُذكر معنى من المعاني له « مثل » في شيء آخر أو « نقيض » ، والنقيض أحسن موقعاً وألطف مأخذاً

ويقدم كنموذج لما له « مثل » قول المتنبي في وصف رمح :

يبادر كلَّ ملتفت إليه ولَبَّته لثعلبِهِ وجارُ

فمعنى الثعلب المقصود هنا سنان الرمح . ولكن إمكان انطلاق هذا اللفظ على الحيوان المعروف أيضاً ، أتاح للشاعر أن يثبت لفظ (الوجار) على سبيل الجمع بين المثلين : الثعلب الحيوان ووجاره

أما ما يأتي على سبيل « النقيض » فذلك كقول الشاعر ـ محاجياً في الدواب ـ :

وما أشياء تشريها بمال فإن نفقتْ فأكسدما تكون؟

إذ يقال نفقت السلعة أي راجت ، ونفقت الدابة إذا ماتت

قال ابن الأثير : وموضع المناقضة ههنا في قوله إنها إذا نفقت كسدت ، فجاء بالشيء ونقيضه ، وجعل هذا سبباً لهذا ...

ويخطِّئ ابن الأثير من يُدخل هذا الضرب من المغالطات المعنوية في باب الألغاز ؛ ويعيب ذلك على أبي الفرج في أغانيه والحريري في مقاماته

واللغز عنده ـ بعد ذلك ـ هو كل معنى يستخرج بالحدس والحزر ، لا بدلالة اللفظ عليه حقيقة ولا مجازاً ، ولا بفهم من عرضه . ويمثل لذلك بقول الشاعر[1] ملغزاً فى الضرس :

وصاحب لا أمل الدهر صحبته ... يشقى لنفعى ويسعى سعى مجتهد
لم ألقه مذ تصاحبنا فذ وقعت ... عينى عليه افترقنا فرقة الأبد !

على أنه يعود فيتمثل بقول الآخر ملغزاً فى (خمخال) :

ومضروب بلا جـــرم ... مليح اللون ممشوق
له قـــدُّ الهلال على ... مليح القـــد ممشوق
وأكثر ما يُرى أبداً ... على الأمشاط فى السوق !

وواضح أن من السهل إدراج هـذا المثل فى باب المغالطات المعنوية ؛ إذ الأمشاط والسوق المقصودة هنـا هى تلك المواضع المعروفة من الجسم ، ولكن الشاعر غالط فى معنى الكلمتين جميعاً ، وأتاح له هذه المغالطة المعنوية (المزدوجة) ـ يكون من اقتران سوق البيع والشراء فى الأذهان عادة بأمشاط الشعر التى تباع فيها ، حتى لكان مما أضافه ابن الأثير إلى ذلك قوله : بلغنى أن بعض الناس سمع هذه الأبيات فقال : لقد دخلت السوق فما رأيت على الأمشاط شيئاً !

هذا وإن المغالطة المعنوية فى البيت الأخير — بذكر الشىء ومثله — لشبيهة بما سلكه المتنبى من المغالطة فى معنى الثعلب بذكر «مثل» له وهو الوجار . فنرى من ذلك أن اللغز ومرادفاته — ومن بينها المغالطة المعنوية — تدور جميعها حول مدلول واحد أو يكاد يكون واحداً . فمحاولة التفرقة بين معانى هـذه المترادفات توشك أن تكون تعسفاً لا محصل منه ومجهوداً لا طائل تحته

لماذا يلغزون ؟

استعمل الفصحاء من قديم هذا الضرب من التعبير الدقيق ناظرين إلى فوائد فيه ، منها رياضة الفكر على تصحيح المعانى واستنباط دقائقها من بطون الألفاظ . ومنها إظهار البراعة فى التلبيس والتمويه بتجلية الحق فى معرض الباطل وإلباس الممكن ثوب المستحيل . ومنها توليد المعانى الغريبة والتزيد فيها ، وابتكار ما يستثير العجب منها فى غموضه ، والإعجاب بعد تجليته وإيضاحه . ومنها صون ما يراد صونه من معانى الكلام وحجبه إلا دون من يُرغب فى بذله إليه ؛ وذلك ما يقال له « الرمز » وأصله فى اللغة الصوت الخفى الذى لا يكاد يفهم ، ثم أطلق على ما خفى من الكلام وأريد طيه عن سائر الناس مع الإفضاء به إلى بعضهم . قال قدامة فى نقد النثر : « وقد أتى فى كتب المتقدمين من الحكماء والمتفلسفين من الرموز شىء كثير ، وكان أشدهم استعمالاً للرمز أفلاطون

يضاف إلى هذه الأغراض الدنيوية جميعاً غرض آخر متعلق بالدين ، هو ما يكون من تجنب الكذب الصراح أو اليمين الكاذبة ، مع سلوك سبيل المداراة والإرضاء بالظاهر من القول . وقد جاء فى الحديث : رأس العقل بعد الإيمان بالله عز وجل مداراة الناس . وإنما يكون ذلك عند التقية ومخاطبة من تخشى بادرته من حاكم غاشم أو سفيه منهجم . ويسمى ابن دريد ذلك (الملاحق) وقد ألف فيه كتاباً فيما سنشير إليه . ويسميه قدامة « المعارضة » وتعريفها عنده أنها المقابلة بين الكلامين المتساويين فى اللفظ . قال : وذلك مثل قول بعضهم وقد سأله بعض أهل الدولة العباسية عن قوله فى لبس السواد فقال : وهل النور إلا فى السواد ! وأراد نور العين فى سوادها ، فأرضى السائل ولم يكذب

وضرب قدامة مثلاً من المعارضة فى القرآن قول مؤذن يوسف : «أيتها العير إنكم لسارقون» وهم لم يسرقوا الصواع ، وإنما عنى سرقتهم إياه من أبيه

قلت : وشبيه بهذا قوله تعالى على لسان إبراهيم : « بل فعله كبيرهم هذا » يعنى أن الصنم الأكبر كان أشدها إغاظة له لما رأى من زيادة تعظيمهم إياه وأقوها ـ تبعاً لذلك ـ حملا على التحطيم « والفعل كما يسند إلى مباشره يسند إلى الحامل عليه » ـ فى الآية أسلوب تعريض جمع بين تبكيتهم ، والتبرؤ من الكذب بإسناد الفعل ظاهراً إلى الصنم

وليس يعد هذا النوع من المعارضة كذباً بوجه ، إذ كان من مأثور قولهم : « فى المعاريض مندوحة عن الكذب » . والصدق فى اللفظ غير مراد لذاته ، بل لدلالة فيه على الحق ، ومعونة منه على بلوغه . وقد أزال الغزالى ما لعله يتبقى من الشبهة

(١) أبو المظفر أسامة بن منقذ . توفى عام ٥٨٤ هـ

٥ ـ القرآن الكريم
فى كتاب النثر الفنى
للأستاذ محمد أحمد الغمراوى

ويلتحق بزعمه الذى زعم لعرب الجاهلية من نهضة علمية سياسية اجتماعية الخ زعمُه أن نشأة علوم العربية كالنحو والبلاغة والعروض قديمة ، أى إنها نشأت قبل الإسلام لا بعده[1] وهو يبنى هذا الزعم أيضاً على ما افترض من أن القرآن أثر جاهلى

وفى الحق أن جميع ما ارتأى وما افترض فى كتابه هذا متصلاً بالقرآن لا يتسق ولا يستقيم فى بحث باحث إلا على فرض

(١) الجزء الأول صفحة ٤٧

فى استعمال (المعاريض) بقوله في شأنها : « الصدق ههنا يتحول إلى النية فلا يراعى فيه إلا صدق النية وإرادة الخير ؛ فهما صح قصده وصدقت نيته وتجردت للخير إرادته ، صار صادقاً كيفما كان لفظه »

هذا ولم يتفرد متصوفة المسلمين بالإغراب والتعمية فى أقوالهم ـ تقية منهم ومداراة للعامة وظلمة الحكام ـ وإنما شاركهم فى ذلك أهل التصوف من سائر الملل . وسبق هؤلاء جميعاً أهل التفلسف من قدماء الأمم . وقد مرت عبارة قدامة فى رموز أفلاطون ، والقفطى فى كتابه : « إخبار العلماء بأخبار الحكماء » يقول عن أفلاطون هذا إنه ألف كتباً كثيرة مشهورة فى فنون الحكمة وذهب فيها إلى الرمز والإغلاق

وكان هيرقليس اليونانى يسمى (الفيلسوف المعمّى) لأنه كان لا يتكلم إلا بالألغاز . وينسب مثل هذا إلى أبيذقليس . قال القفطى : ومن الفرقة الباطنية من يقول برأيه ، وينتمى فى ذلك إلى مذهبه ـ يعنى مذهب الشك فى المعاد ـ ويزعمون أن له رموزاً قلما يوقف عليها[1] وهى فى غالب الظن إيهامات منهم .

(جرجا — يتبع) محمود عزت عرفة

(١) أقول : لعل أبا العلاء كان يشير إلى أمثال هؤلاء بقوله : لقد كذب الذين ظنوا فقالوا : أتى من ربنا أمر برمز

أن القرآن من كلام عربى من العرب . وهو لم يصرح بهذا كما صرح بإنكار إعجاز القرآن من ناحية الأسلوب ، إلا أن وصفه القرآن بكل ما لا يصدُق إلا على نتاج البيئة دليل قاطع فى الموضوع

اقرأ له زيادة على ما قدمنا قوله عن القرآن من صفحة ٤٥ « فلننظر إذن أهو كتاب طبيعي ، أم هو كتاب مملوء بالزخرف والصنعة المحكمة » وقوله « فمن الواجب أن يترك الباحثون ذلك الميدان الذى أولعوا بالجرى فيه وهو عصر الدولة العباسية ، وأن يجعلوا ميدان النضال عصر النبوة نفسه ، وأن يحدثونا ما هى الصلات الأدبية والاجتماعية التى وصلت إلى العرب من الخارج فأعطت نثرهم تلك القوة وذلك الزخرف الذين نراهما مجسمين فى القرآن . هنالك نعرف بالبحث أكان القرآن صورة عبقرية أم تقليدية » . فهذا نص لا يقبل شكاً ولا يحتمل تأويلاً فى أن صاحب الكتاب يرى القرآن من كلام العرب تأثر بما تأثروا أو يصح أن يكونوا تأثروا به من صلات أدبية اجتماعية جاءتهم من الخارج ، وأن ما امتلأ به فى زعمه من « الزخرف والصنعة المحكمة » ليس طبيعياً كالذى تراه فى الزهر والشجر والشفق والسماء ، ولكنه مكتسب مجلوب من الخارج ! ونسى أنه لم يقل بأن القرآن أثر جاهلى إلا لينفى عن العرب أن يكونوا « أخذوا طرائق النثر الفنى عن الفرس واليونان » ، فهو يسلبهم كل ما أعطاهم ، بل يشكك حتى فى عبقرية القرآن لو كان من صنع عربى ووضعه ، كما ترى من قوله « هنالك نعرف بالبحث أكان القرآن صورة عبقرية أم تقليدية » . والتقليد هنا ليس هو تقليد عربى لعربى ، ولكن تقليد عربى لأعجمى ، لأن الصلات الخارجية التى يتساءل عنها فى النص السابق هى صلات بين العرب ومن حولهم من الأعاجم . فتشكيكه فى العبقرية وتجويزه التقليد على القرآن قاطع فى أنه لا يرى القرآن من كلام واهب العبقرية وفاطر الإنسان ، ولكن من كلام بشر مشكوك حتى فى عبقريته

وصاحب الكتاب يعرف هذا الرأى من نفسه ، ويعرف

بعد ما بينه وبين ما عليه المسلمون ؛ كما ترى من قوله بعد ذلك النص « ولكن مثل هذا البحث فى رأيي خطر على الباحثين المسلمين فى الوقت الحاضر : لأن الرأى العام فى مصر والشرق الإسلامي لا يسمح بدرس القرآن درساً تحليلياً يبين ما فيه من العناصر العربية الصميمة والعناصر الدخيلة . والمستشرقون أيضاً لا يهتمون بمثل هذا البحث ، لأن أكثرهم مقتنع بأن العرب لم يكن لهم وجود أدبى قبل الإسلام » . فإذا صح ما نقله هذا الرجل عن المستشرقين فالمستشرقون أقرب منه إلى الإسلام إذ ليس بينهم وبين الإسلام إلا أن يكونوا منطقيين مع أنفسهم ، ويتبعوا النتيجة الحتمية لوجود القرآن مع ما اقتنعوا به من أن العرب لم يكن لهم وجود أدبى قبل الإسلام . أما هو فقد رأيت ما قال

وليس ذلك كل ما قال ، فقد قال أيضاً فى صفحة ٤٦ « وليس أمامنا أى دليل على أن القرآن متأثر تأثراً محسوساً بآداب أخرى أجنبية وإن كان هذا ممكناً لأن العرب قبل الإسلام كانوا على اتصال قليل أو كثير بمن جاورهم »

وقال أيضاً من صفحة ٤٧ « ويمكن الحكم بأن اللغة الأدبية التى سبقت الإسلام لم تكن تخالف كثيراً لغة القرآن ، لأن التطور الكبير الذى ينقل اللغة من أسلوب إلى أسلوب ومن روح إلى روح لا يتم فى خمسين سنة مثلاً ، وإنما يتطلب مدة طويلة ، خصوصاً فى أمة بدوية محافظة قليلة الاختراع والتبديل فى لغتها وأسلوبها » . اقرأ هذا واحكم ما رأى صاحبه فى القرآن ، أأنزله الخالق معجزة للخلق على الدهر ، أم هو من كلام الناس تطور روحه وأسلوبه كما يتطور الروح والأسلوب فى كلام البشر ؟

ثم اقرأ له من صفحة ٥١ : « وإنما ينبغى أن نعتقد أنه كان لهم أدب قوى متين يقرب فى روحه وأسلوبه من روح القرآن وأسلوبه ، فإن البيئة واحدة ، واللغة واحدة ، والعصر واحد » فإذا قرأت له عقب ذلك « ولم يكن محمد إلا بشراً ألهم هداية قومه كما صرح القرآن غير مرة » عرفت أن صاحب الكتاب يرى القرآن من كلام محمد ، وعرفت أيضاً أنه يفترى على القرآن فإن القرآن وإن قال إن محمداً بشر لم يقل إنه ألهم هداية قومه ، فإن ماده « ألهم » لم ترد قط فى القرآن

فإذا قرأت له من صفحة ٦٠ « فإن القرآن يسجع أحياناً ولكنه لا يلتزم السجع ، لذلك نجا من التكلف والابتذال » عجبت لهذا الكاتب المدعى البصر بالفصاحة والبيان ، كيف لم يجد ما يقوله فى سجع القرآن إلا أنه نجا من التكلف والابتذال ! وهو ثناء يشبه الذم لو أنه قيل فى سجع أحد الفصحاء مثل ابن العميد الذى يستحسن صاحب الكتاب سجعاً له كل الاستحسان (صفحة ١٥٧) ، فكيف به وقد قيل فى القرآن

ولعلك لاحظت أنه حين (نجى) القرآن من التكلف والابتذال فى السجع رد ذلك إلى أنه يسجع أحياناً ، أى إلى قلة السجع لا إلى السجع نفسه . فإذا قرأت له قوله من صفحة ٦٥ « ولو تركنا المشكوك فيه من الآثار الجاهلية ، وعدنا إلى نص جاهلى لا ريب فيه وهو القرآن ، لرأينا السجع إحدى سماته الأساسية » لعجبت لهذا الرجل كيف يكتب . ألم يقل قبل إن القرآن يسجع أحياناً ؟ فكيف يجعل السجع الآن إحدى سماته الأساسية ؟

ومثل آخر من إنزاله القرآن منزلة كلام البشر قوله من نفس الصفحة « والقرآن نثر جاهلى ، كما أوضحنا ذلك من قبل ! (والتعجب من عندنا لأنه لم يوضح بأكثر مما قدمنا لك) والسجع فيه يجرى على طريقة جاهلية حين يخاطب القلب والوجدان . ولا ينكر متعنت أن القرآن وضع للصلوات والدعوات ومواقف الثناء والخوف والرجاء سوراً مسجوعة تماثل ما كان يرتله المتدينون من النصارى واليهود والوثنيين ولا تنس أن الوثنية كانت ديناً يؤمن به أهله فى طاعة وخشوع ، وكانت لهم طقوس فى هياكلهم . وكانت تلك الطقوس تؤدى على نحو قريب مما يفعل أهل الكتاب من النصارى واليهود » !

أفترى هذا الكلام يحتاج إلى تعليق ؟! أم هل ترى كلاماً أوضح وأدل على رأى هذا الأفاك ؟ إذن فاقرأ له ما قال بعد

ذلك : « والقرآن وضع لأهله صلوات وترنيمات تقرب فى صيغتها الفنية مما كان لأهل الكتاب من صلوات وترنيمات ، والفرق بين اللغتين يرجع إلى المعانى ويكاد ينعدم فيما يتعلق بالصور والأشكال . ذلك بأن الديانات الثلاث الإسلام والنصرانية واليهودية ترجع إلى مهد واحد هو الجزيرة العربية . فاللون الدينى واحد ، وسورة الأداء تكاد تكون واحدة » ! فقد رأيت الآن ! لقد صارحك صاحب النثر الفنى بذات نفسه ، لا عن القرآن فقط وتقليده حتى الوثنيين فى الصورة والشكل ، ولكن عن الأديان الثلاثة كيف أنها كلها بنت البيئة ، بنت الجزيرة العربية ، ولك أنت أن تعلل لماذا أغفل الوثنية فلم يجعلها رابعة البنات !

الرجل بقوله هذا قد وضع بين أيدى الناس المفتاح إلى مذهبه فى القرآن والدين ، وليس النص السابق فلتة فاتت الرجل ، فقد ذكر رأيه فى الدين وفى القرآن فيما كتب بعد النثر الفنى بما يتفق مع هذا الذى كتب فى « النثر الفنى » وأين ؟ سأخبرك ببعض ذلك ، وفى البعض بلاغ

كان الأستاذ أحمد أمين علل فقدان الملاحم والمنظومات الطويلة في الشعر العربى بتقيد الشعراء بعد العصر الجاهلى بقيود الشعر الجاهلى ، فرد الدكتور زكى مبارك عليه يقول فى صفحة ١٣٩٣ من العدد ٣١٥ من الرسالة « إن عبقرية العرب ليست فى القصص وإنما عبقرية العرب فى الثناء والتعبير عن الأنفاس الروحية . وفى بلاد العرب نشأت الديانة الموسوية والديانة العيسوية والديانة المحمدية ؛ فإن امتازت لغات الشرق والغرب بالمنظومات الطويلة فى القصص والتاريخ ، فقد امتازت لغة العرب بأكرم أثر عرفه الوجود وهو القرآن . وهو حجة اللغة العربية يوم يقوم التفاخر بين اللغات بالأحساب » والأستاذ أحمد أمين كان يتكلم عن أدب العرب مقارناً إياه بأدب غيرهم من الأمم والشعوب ؛ فهذا الرد من زكى مبارك لا يصلح رداً إلا أن تكون الديانات الثلاث من وضع العرب ؛ وإلا أن يكون القرآن من أدب العرب كذلك

* * *

وبعد ، فقد كنت أسندت إلى زكى مبارك تهماً ثلاثاً : أنه يدعو إلى نقد القرآن ، وأنه ينكر إعجاز القرآن وأنه يكاد يصرح بأن القرآن من كلام البشر ، وطلبت إليه أن يتبرأ أو أثبت ، فأجاب إنى لا أفهم كتابه ، وأنه لا يتبرأ منه ولو ذهب معه إلى جهنم الحامية ، فكان لا بد من الإثبات . وقد فعلت ، وإن لم أستقص ما فى كتابه وما كتب بعده من دليل . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

محمد أحمد الغمراوى

الأستاذ أبو خلدون ساطع الحصرى

يقدم

إلى المربين والمعلمين والوالدين والمفكرين كتابه الجديد

آراء وأحاديث

في

التربية والتعليم

وهو خلاصة مطالعات ، ونتيجة مشاهدات ، وزبدة تجارب ، فى ترتيب منطقى وأسلوب سهل وصورة مشوقة . والقسم الثالث منه خاص بنظام التعليم فى مصر ونقده وبحث مشكلة التعليم الإلزامى فيه

يباع فى إدارة مجلة الرسالة وفى سائر المكاتب الشهيرة

وثمنه ثلاثون قرشاً عدا أجرة البريد

نقل الأديب

للأستاذ محمد اسعاف النشاشيبي

٥٥١ — ومخبر النساء بعد المنظر

عيّرت امرأة حكيما بقبيح النظر . فقال لها : يا هذه ، إن منظر الرجال بعد المخبر ، ومخبر النساء بعد المنظر ...

٥٥٢ — يعوّنونه خاتما ويعوّنونه عكازاً

فى (تاريخ بغداد) للخطيب : قال عبد الله بن محمد بن شهاب : كان لخلف بن عمرو العكبرى ثلاثون خاتماً وثلاثون عُكازاً ، يلبس كل يوم خاتماً وعكازاً[1] طول شهره . فإذا جاء الشهر المقبل استأنف لبسها . وكان له سوط معلّق ، فقلت له : ما هذا ؟ فقال : ما رُوى : (علّقْ سوطك يرهبك عيالك)[2]؟ وكان ظريفاً ...

٥٥٣ — خطبة فى الصلح

فى (محاضرات الراغب) : خطب رجل فى الصلح ، فقال : أما بعد ، فإن الصلح بقاء الآجال وحفظ الأموال ، والسلام

٥٥٤ — عجائب

فى (الأغانى) : أحمد بن الطيب السرخسى : حضرت مجلس محمد بن على بن طاهر ، وحضرته مغنية (يقال لها شنين) مشهورة ففنت (قول دعبل) :

لا تعجبى يا سلمَ ، من رجل ضحك المشيبُ برأسه فبكى

ثم غنّت بعده (والشعر لدعبل) :

لقد عجبتْ سلمى وذاك عجيب رأت بى شيباً عجّلته خطوبُ

فقلت لها ما أكثر تعجب سلمى هذه ! فعلمت أنى أعبث بها

(١) ويجعل عكازاً ، وشله

إذا ما الغانيات برزن يوما وزججن الحواجب والعيونا

إنما أراد وكحلن العيون . والزجج دقة فى الحاجبين وطول ، وقيل أطاله بالأثمد اللسان ، التاج)

(٢) (فى مجمع الأمثال) : علق سوطك حيث يراه أهلك . هذا يروى عن النبى (عليه الصلاة والسلام) والمعنى اجعل نفسك بحيث يهابك أهلك ، ولا تغفل عنهم وعن تخويفهم وردعهم

لأسمع جوابها ، فقالت متمثلة غير متوقفة ولا متفكرة :

فَهلكُ الفتى ألاّ يَراحَ إلى نَدًى

وألاّ يرى شيئاً عجيباً فيعجبا[1]

فعجبتُ والله من جوابها وحدّته وسرعته ، وقلت لمن حضر : والله لو أجاب الجاحظ هذا الجواب لكان كثيراً منه مستظرفاً

٥٥٥ — اخترت استعمال الصواب فيك

فى تاريخ بغداد للخطيب : قال قال المأمون لأبى حفص عمر بن الأزرق الكرمانى : أريدك للوزارة

قال : لا أصلح لها يا أمير المؤمنين

قال : ترفع نفسك عنها

قال : ومن رفع نفسه عن الوزارة ، ولكنى قلت هذا رافعاً لها وواضعاً لنفسى عنها

قال المأمون : إنّا نعرف موضع الكفاة الثقات المتقدمين من الرجال ، ولكن دولتنا منكوسة ، إن قوّمناها بالراجحين انتقصت ، وإن أيدناها بالناقصين استقامت ؛ ولذلك اخترت استعمال الصواب فيك ...

٥٥٦ — أفتانا به الإمام أبو اسحق

قال محب الدين بن النجار فى تاريخه : قال شعيب بن الحسين القاضى أنشدنى الشيخ أبو إسحق الشيرازى[2] هذين البيتين لنفسه :

جاء الربيع وحسنُ وردهْ ومضى الشتاء وقبح بردهْ

فاشرب على وجه الحبيب[3] ووجنتيه وحسن خدهْ

ثم بعد مدة كنت جالساً عنده فذكر بين يديه أن هذين البيتين أنشدا عند القاضى عين الدولة حاكم صور (بلدة على ساحل بحر الروم) فقال لغلامه : أحضر ذاك الشان فقد أفتانا به الإمام أبو إسحق . فبكى الشيخ الشيرازى ، ودعا على نفسه ، وقال : ليتنى لم أقل هذين البيتين ! ثم قال لى : كيف تردها من أفواه الناس ؟ فقلت : ياسيدى ، هيهات ! قد سارت بهما الركبان

(١) راح له يراح : أخذته له خفة وأريحية

(٢) صاحب البيتين : (سألت الناس عن خل) وفيه يقول الشاعر عاصم من بغداد :

تراه من الذكاء نحيف جسم عليه من توقده دليل

إذا كان الفتى ضخم المعالى فليس يضره الجسم النحيل

(٣) قال ابن خلكان : كان فى غاية من الورع والتشدد فى الدين . وقال السبكى : شيخ الاسلام ، صاحب التصانيف التى سارت كسير الشمس

نحو أدب قومي

الوادى المقدس

للأستاذ سيد قطب

على ضفافِ الخلودْ وفى شِعابِ الزمنْ
والدهر يحبُو وليدْ قد كان هذا الوطنْ

يا فجرُ مَنْ ذا رآكْ تجولُ تلكَ السماءْ
وليسَ حَيٌّ سِواكْ يُهدِى إليه الضياءْ ؟

رأتْك تلك الضِّفافْ رأتكَ تلك البُرورْ
رأتك قبل المطافْ وأنتَ طفلٌ غريرْ

وشبتَ والدهر شابْ وحنكتْك الحياةْ
والنيلُ بادى الشبابْ والزهر يَقْفو خُطاهْ

ينسابُ مثل النَّغَمْ فى عزف نايِ طروبْ
وكانسيابِ الحُلُمْ تُضْفِى عليه الغيوب

خريرهُ صَلَواتْ معطّراتُ النشيدْ
وموجُهُ أغنياتْ مرتّلاتُ القصيدْ

يا نيل كم من شِراعْ يا نيل كم من سَفينْ
أسْلَمْتَها للوداعْ على مدار السِّنين

يا نيل كم من جموع ماجَت بتلك الضفاف
يا نيل كم من زروع وذِى وذِى للقطاف

وأنتَ صِنوُ الخلود وفى يديْك الزِّمام
وكل عام تعود تُجدِّدَ الأيام

تجرى فتجرى الحياه ويُسْرِعُ الشاطئان
ويستفيقُ الرُّعاه وتمرح القُطْعان

ويَنْشطُ الزرزور يجمّع الميدان
لِعشه المعْمور بفرخه الوسنان

أكادُ خلفَ القرون أحس رِكْزَ الجموع
أراهُمُ مُهطعين فى موكب للربيع

قد شمروا للحصاد وخَلّفوا أمشير
فى فرحة الأولاد تسابقوا للبكُور

وموكب للرّواح فى كل يوم يؤوب
يزُفه الفلاح على مدار الغروب

من الحقول المَريعه إلى الحمى والديار
تضم فيه الطبيعه أبناءها الأبرار

تُحُونه من صياح ومن رُغاء النَّعَم
ومن رجيع النُّبَاح ومن ثُغاء الغنمْ

على مدار القرون يسير فيه الرُّعاه
كأنهم خالدون ما بُدِّلوا فى الحياه

أحبُّ فيكَ الخلود يا أيُّها الوادى
أحب فيك الصمود للقاهر العادى

تَصبُّ فيكَ الوفود وأنت يقظانُ ساهر
تصوغهم من جديد كأنما أنت ساحر

يا مهبط الأسرار من الغيوب العميقه
يا موطن الأسحار من القرون السحيقه

تأوى إليك الزمان خوف البِلَى والفناء
يأوى لحصن الأمان فيستمدُّ البقاء

ووجهك الفتان بلونه الأسمر
يا طالما يزدان بزرعك الأخضر !

ترُنو له عيناى فى فتنة العاشق
يا أرض يا دنياى يا آية الخالق

يا أرض كم تحلمين بالزهر أحلام شاعر
رُؤاكِ طولَ السنين يا أرض ، تلك الأزاهر

وريحك المعروف يشمه أنفى

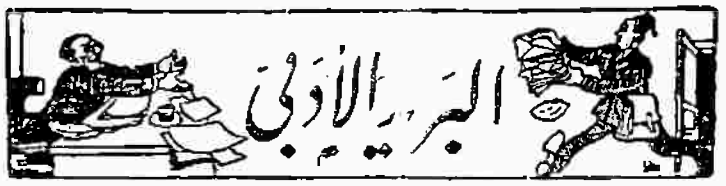

٧ — الشعر الجديد

يلحق بالشعر الجديد ما يدعونه اليوم (الشعر المنثور) . ويكاد النوعان يتطابقان فى جميع المظاهر والخصائص التى ألممت بها فى هذه الأحاديث وغالب ما قرأت من (المنثور) مُنشأ إنشاء ؛ ومنه ما هو مترجم . وما يستجاد من هذا أو ذاك لا يكاد يذكر

ولقد كنت أحسب بادئ الرأى أن رُحْب (المنثور) وانفساح جنبانه ، وأنه غير منحصر فى وزن أو قافية — مما يأذن لسلامة التعبير ومتانة الأداء . ولكنى وجدت الحال هى الحال . فإن كان لهم شىء مما يزعمون من المقدرة ، فهنا مجاله . وإلا فأين نتلمّس (نضارة الزهر ، وعَبَق الريحان ، وفتنة الألوان) ؟

وعلى ذكر (القافية) يعِنّ مظهر آخر سوى ما أسلفنا — من مظاهر (الشعر الجديد) : ذلك هو قَلَق القوافى فيه ونُبُوّها ، حتى إنك لتحس أنها تحشر حشراً ، وتساق سوقاً ، وتضغط فى أماكنها ضغطاً ، فتأتى واهنة خائرة ، أو باردة فاترة

ورصانة القافية تنبئ بالفُحولة ورسوخ القدم . وقديماً اعتبرها النُّقاد من أُسس الموازنة ، ومقوّمات المقايسة بين الشعراء . وقد عُنى بها (العروضيّون) فبسطوا فيها القول ، ونسّقوا لها القواعد ، وأفردوها بالتأليف ؛ حتى وصلوا من ذلك إلى تفصيلات دقيقة ، وتفريعات عجيبة . وذلك لمكانتها من القصيد ، وأثرها فى النفوس ، متى اكتملت فيها شرائط الحسن ، واستحكمت لها أصول الفن

ولسنا بصدد طرْق هذا الباب ؛ وإنما نريد أن نقول لهؤلاء النظّامين : رويدكم ؛ فإن الأمر ليس من الهوْن كما تظنون ؛ فإحكام القافية وإنزالها منزلتها ، مما يتطلب تحصيلاً عظيماً ، وحِسّاً مرهفاً ، ومُعاناة طويلة للجزل من الكلام ، والمحكم من القريض

فلا غَرْو إذاً أن ندرك سرّ تبرّم القوم بالقوافى ؛ فقد تواترت اليوم صيحات تدعو إلى (كسر هذا القيد ، وخلع ذلك النِّير) . قالوا : وما للتقفية والشعر ؟ لئن كانت التقفية سبيل القدماء ومنبت عصورهم ، لخير لنا فى عصرنا هذا أن نطّرحها ، لنكون فى التفكير أكثر سداداً ، وفى الخيال أبعد مرمى ، ولنكون سِراعاً ككل شىء

قالوا هذا ، وقالوا كثيراً غيره ، وأوغلوا فى الاحتجاج ، فأصبحنا نرى من القصائد ما لا تقفية له مطلقاً ، وما نُوّعت فيه التقفية على أوضاع وأشكال شتى ، وصور لا تكاد تنحصر

فالسر — فيما أرى — ليس فيما زعموا . وإنما السر كل السر فيما يقوم فى سبيل التقفية — ولا سيما إن طالت فى القصيدة — من عقبات ، وما يعترض من شدائد . فكيف النجاة إلا فيما يتمحّلون وما يفتعلون من أسباب ؟

وبينما أنا أهم باختتام هذه الكلمة ، إذ خطر لى حوار كان بين أديبين[1] — منذ قريب — حول ما يسمى (الشعر المهموس) وهو ما يمكن أن تتسع له أحاديثنا هذه . وكان فى نفسى منه شىء . وهو فن ابتدع حديثاً ، فيما أظن

(١) على ما أذكر . ولعلهم أكثر . والموضوع ليس فى متناول يدى الآن . وإنما اعتمدت فيه على الذاكرة

فى خاطرى مألوف ممـيزُ العَـرْف

يا أرض ، هذا الصعيد مقدس فى ضميرى
سرى عليـه الجدود وأخلدوا للقبور

يكاد فرطُ الحنين إليهمُ فى شـعورى
يردهم شاخصين إلىّ خلف الدهور

يا أرض سرّ دفين مُغيَّبٌ فى ثراك
يَرُدُّنا . موثقين إليكِ أسرَى هواكِ

هـذا الثرى المنثور فى صفحة الوادى
عرفته فى الضمير رفات أجـدادى

يا أرض . هذا النشيد من وجيك العبقرىّ
فاقْضِى له بالوجود بسرّك القُدُسىّ

(حلوان) سيد قطب

ولقد كنت جهدت فى تبين مدلول (الهمس) فى ذاك الحوار ، مستأنساً باللغة ، فلم أوفَّق كل التوفيق . فانصرفت إلى الشعر الذى ساقاه للتصوير ، وتأملته وأمعنت فيه

وكان أحد المناقشين يتعصب لشعراء (المهجر) أشد التعصب ويقدّمهم في هذا الباب ، وينكر على المصريين ـ فيما أذكر ـ استعدادهم فيه . وساق كل من المتناظرين مقطوعات مختلفة . وطال النقاش

إلا أنى لم أتذوق فى الشعر المصرى مذاقاً خاصاً ، لم ألمح فيه لوناً أو طعماً خاصاً ـ أما الشعر المهجرى فكان من سفته الوَنَى والفتور والتهافت ، وإن حاول الأستاذ ـ جاهداً ـ أن يُحمّله من المعانى ما لا يحتمل ، وأن يعتصر منه ما ليس فيه . ولقد عجبت من هذا الاختيار ، وفى (المهجر) شعراء ذوو مكانة سامية ، ولهم فن مستملح ، وتجديد عذب

فليت شعرى ما (الهمس) فى الشعر وما مرماه ؟

(للحديث بقية) (ا . ع)

كتابة الإسبانية بالحروف العربية

أورد حضرة الأستاذ الجليل « ن » فى العدد ٥٦٢ من الرسالة خبراً حول كتابة اللسان الإسبانى بالحروف العربية استحدثه من أستاذنا الدكتور بارل كراوس

وكأنى بكثير من الناس لا يعرفون عن هذه الحقيقة التاريخية إلا اليسير ؛ لذلك أحببت أن أقدم إلى أصدقاء « الرسالة » لمحة سريعة عن الظروف التى أحاطت بهذه الكتابة راجياً أن تتاح لى الفرصة للتحدث عن أدب المورسكيين الذى كان جله يكتب بالحروف العربية

بعد أن استرد الإسبانيون غرناطة ـ آخر معقل لدولة الإسلام فى الأندلس ـ ظل كثير من المسلمين Moriscos يعيش فى كنف الدولة الجديدة المنتصرة . ولكن سرعان ما اشتدت وطأة محاكم التفتيش عليهم ، فحملوا ـ أمام هذا الضغط ـ على استعمال اللغة الأعجمية Aljamia فى حياتهم الاجتماعية . ولم يكن فى وسعهم حينئذ أن يكتبوها بالحروف اللاتينية ؛ فلجأوا إلى حروف لغتهم العربية

وفى سنة ١٦٠٩ أُقصى المورسكيون عن إسبانيا واندثرت لغتهم التى استحدثوها ، فقُضى بذلك على آخر مظهر من مظاهر الأدب الإسلامى فى الأندلس

والأدب الأعجمى ككل أدب ، له ناحيتان : النثر ، ويتمثل فى كتب الدين والشريعة وسير الرُّسل . والشعر ، وقد نظمت به المدائح النبوية وقصة يوسف

وها هى ذى بعض الأبيات من قصة يوسف نظمها باللغة الأعجمية شاعر مجهول عاش فى القرن الثالث عشر والرابع عشر :

حديث دا يوسف عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

لُوَ مِيا نْتُ أَدَ اللهُ أَ لَلْتُ يَاشْ إِبارْدَادَار

أُنْرْدُ إِقُنْبِلِدُ شانْرْ دَارَا يْعْرَارُ

ثم يسترسل فى ذكر الصفات الإلهية حتى يصل إلى قول يوسف لأبيه :

أَكاشْتُ لُوَا كابِيُ أُنْزَ أَشْتَرَالَّشْ

كامِّشْ لفَرَارَ تَيايَ كُنَالَّشْ

كالْشُلْ إِلَلُنَ أَرَكا أَنْدَبَ أَنْتَرَالَّشْ

ومعناه : « إنى رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين »

ولا تزال خزائن المورسكيين مدفونة لم يكشف فى القرن التاسع عشر إلا على القليل منها . ولعل فى استخراجها من مدافنها ما يوضح مدى النشاط الفكرى الذى بلغه هؤلاء القوم المعذبون .

أحمد حسنة

البيت الذى يعدل ألف بيت

قرأنا فى العدد الأخير من « الرسالة » رأى الأستاذ دريني خشبة فى بيت للدكتور إبراهيم ناجى وهو يعدله بألف بيت من جيد الشعر

ونحن نرى أن البيت الذى يعدل ألف بيت من جيد الشعر هو بيت الرئيس أبى منصور على بن الحسن (صردر) :

ناضلتنا بنوافذ مسمومة وودت لو قبلت سهم الرامى

من قصيدته :

يا ماء « لينـة » لو نفعت أوامى
كانت حياضك لى كئوس مـــدام

أما البيت :

ومن عجب أحنـو على الـسهم غائراً
ويسألنى قلـــبى متى يرجع الرامي

فيعدل بيتاً واحداً ، لأنه مأخوذ عن الرئيس أبى منصور بتصرف

محمد على خليل

بقايا نقم

نشر الأستاذ محمود حسن إسماعيل قصيدة فى العدد الماضى من « الرسالة » الغراء بهذا العنوان ورد فيها ما يأتى :

وفيهـا أنت يا ليلاىَ سلوٌ يانعٌ لبكاىَ
وفجـر رائع لدجاىَ وخلد سامع لغناىَ
يعللنى ويوحيـــنى

أما أنت يالياى سلو يانع لبـكاى ، فهذا كلام جميل وإن كان السلو لا يوصف بأنه يانع ، وأما قوله (يعللنى ويوحينى) ، فذلك خطأ محض إذ ليس من اللغة الصحيحة أن أقول (يوحينى) بمعنى (يوحى إلىّ أو لى) ولو قال (يُحْيينى) لكفى نفسه هذا الاضطرار الذى أوقعه فى خطإ واضح

هذا وللأستاذ تقديرى وثنائى على أى حال .

عبد القادر محمود

« كتاب الفلاحين » والدكتور غلاب

طالبنا الدكتور غلاب بالأدلة على جور الأب عيروط أحياناً وعلى ركاكة أسلوب الترجمة ، فإليه بعض هذه الأمثلة بلا تعليق :

١ — جاء فى ص ١٥٨ : إن الشدة القرآنية تلين أمام الضرورة والتقاليد

٢ — وجاء فى الصفحة نفسها : إن جرائم القتل بسبب المرض التى هى لا تزال مألوفة إلى حد كبير والتى هى بجندة من الإسلام ، إن لم تكن من أوضاعه تلقى رحمة العدالة الرسمية (أى فى المحاكم !)

٣ — وجاء فى ص ١٦٠ : أن الأم التى تلد تلحقها نجاسة شرعية مدة (أو إبان كما يقول السيد غلاب) أربعين يوماً إن كان المولود ولداً أو ثلاثين إن كان بنتاً !

٤ — وفى ص ١٦١ يقول بعد أن شنع كثيراً على عادة إطالة مدة الرضاع : ونحن نشاهد نفس هذا التعيين فى مدة الرضاع عند قدماء المصريين وفي أفريقيا السـوداء وفى أوامر القرآن !

٥ — وجاء فى ص ١٢٥ : إن الفلاحين يقومون بطقوس الصلاة بعد الوضوء مساء ا. ويوم الجمعة مرات عديدة ! وأنهم يصلون جماعة ، أو على الأقل يصورون هيكل حركات الصلاة !

٦ — وفى ص ١٣٣ : « إن النساء الباكيات على الميت (يؤنبن الإله على دعونه إياه !) ويسائلن الميت وزوجته وأولاده بل والموت نفسه » وينتهى الكلام بلا معنى عند هذه العبارة ! فعم التساؤل ؟

٧ — وفى ص ١٢٤ : ينفى عن الفلاحات ملاحظة شىء من قواعد الإسلام حتى الشهادتين أو الصوم أو الزكاة

٨ — وفى ص ١٥٦ : رمى الفلاحات المصريات جميعاً بالعهر والدعارة وعدم الصون !

٩ — وفى ص ١٨١ يتهم الفلاحين بأنهم يقدسون الحيوان ، كما كان يصنع قدماء المصريين !

١٠ — وفى ص ١٢٥ : إن المسلمين لا يفهمون عربية القرآن الأدبية !

* * *

فهذه عشرة مآخذ من عشرين أعددناها فى مقال أشفقت « الرسالة » من نشره . فهل يأبى المترجم إلا أن تزيد ؟! وهل يرضيه هذا اللون المكشوف من النقد ؟ أما ركاكة الأسلوب فالكتاب كله شاهد على ذلك ، وفى نشر شىء منه تضييع لوقت القراء

(د . خ)

عمى حسن

للأستاذ نجيب محفوظ

رحماك اللهم ! ماذا فعلت ؟ ... أين جلدى وأين رشادى ؟ ... وكيف أدارى خجلى حيال هذه الشعيرات المحترقة ؟ ... وكيف أستمع لنجوى هـذا الرأس الكبير الذى ظل ـ ستة وأربعين عاماً ـ ملتصق لتجارب الحياة ، يحتفظ منها بما يشاء ويعتبر بما يشاء ؟! ... فهل حقاً خانتنى البصر وهل حقاً خانتنى الإرادة ؟ ... أو إن عمق إحساسى بالخجل والخيبة هو الذى كبر الهفوة لناظرى وضاعف من أثرها فى شعورى ؟ ... والحق أنى لم آت أمراً أشذ به عن سنة الطبيعة ، بل لو كنت ذا فطنة لأيقنت من زمن طويل أنه ما من هذا المصير مفر ... ألم ألق بنفسى فى مرتع الحسن الصبيح والشباب النضير أشهد نضجه واستواءه ؟ ... فمن أين كانت لى قوة أصد بها نزوع القلب عن أن يجنى من حصاد الهوى ما يروى به غلة فؤاد أضناه الترمل وعناه التوق إلى الأليف

وقد عرفت «فيفى» وهى فى المهد بعد أن نورت الدنيا بأسبوع واحد ، وكنت فى ذاك الوقت فى الثلاثين وأنتظر مولودا أيضاً . وأذكر أنى كنت أوصى زوجى ـ ضاحكاً ـ أن تكثر من النظر إلى وجه طفلة جيراننا على مولودنا المنتظر يقبس من روائها حسناً . ولم يكن يفصل بين الشقتين سوى ردهة قصيرة فجعلت الصغيرة ـ حين دعاها الداعى إلى تعلم الحبو والمشى ـ تقطعها حبواً ومشياً ، فتمت رويداً رويداً تحت سمعى وبصرى ، لها منتهى ودى وحبي وحنانى ، بل لكأنها ما كانت تتحرك وتنمو إلا بالحرارة التى يسكبها حبى على قلبها الصغير . وزاد هذا الحب وتضاعف حين ابتلانى الدهر فسلبنى زوجى ثم ابنى الصغير ، فطفقتها بجنون ووجدت فيها سلوة وعزاء . وأحببتها أختى ـ وكانت تقيم معى ـ فصرنا لها أباً وأماً . كان حسبى أن أنظر فى عينيها الخضراوين أو أعابث شعرها الكستنائى أو ألبي نداءها فرحاً مسروراً إذا نادت « عمى حسن » ، وكان أبوها يضاحكنى فيقول : « ما عرفت كفيفى طفلة تحب عمها أكثر من أبيها ! »

فيفى الصغيرة تلك هى التى أحببت فيما بعد حباً غير الحب الأبوى الأول . وإنى لأتساءل متحيراً متى أحببتها هذا الحب الجديد ؟ أو كيف تحول حنانى إلى عاطفة قوية وشغف جنونى وهيام حق ؟ .. هل تولد فجأة ذاك اليوم الرهيب الذى لا ينسى؟ هذا بعيد . ففي مثل حالتى لا يأتى الحب فجأة ؛ بل كيف أقول فجأة وقد ترعرعت عمرها السعيد البالغ ستة عشر عاماً بين يدى وفى متناول أنفاسى ! إنما يمكن أن يقال إن بذرته ذرت فى فؤادى منذ استوى العود الغض وارتوى بماء الشباب ، وامتلأ الصدر والخدان بالأنوثة ، ووميض فى العينين بريق الفتنة والملاحة ، فلم أعد أرى طفلة تلثغ باسمى أو تلهو بسلسلة ساعتى ، ولكن شابة حسناء ربا الشباب ناضرة الحسن تنفث الفتنة والهيام . هنالك بهرنى الحسن وملأنى الإعجاب . وكنت كلما دب دبيب الفتنة فى قلبى تعوذت بالله وأنكرت مشاعرى : ثم جفلت من مداعبتها ، فلم أعد أربت على خدها أو أعابث ذؤابتها ، وهمت فى أجواء من الغموض واللهفة والشوق المكتوم والحيرة القاتلة والشغف والخوف ، ولولا أنى ممن يندر أن يفكروا فى أنفسهم أو ينظروا فى باطنهم لفطنت إلى حالى ، ولكنى رحت أقنع نفسى بأن ما انتابنى من اضطراب ما هو إلا أثر من إعجابى بالأنوثة الناضجة يتجد فى قلبى بحبى الطاهر القديم . هكذا خادعت نفسى . على أنى لم ألبث أن صحت يوماً وقد بلغت بى الوحشة حد الجنون ـ وكانت غابت أسبوعاً فى بيت جدها ـ « رباه إن الحياة لا طعم لها بدون فيفى واعترانى شجن وكمد ووجوم

وجاء يوم فرأيت قلبى على ضوء الشمس الساطع وبرح الخفاء ، وكنت أعبر فناء البيت إلى الطريق ، وكانت فيفى تلهو كمحبوب عادتها بركوب الدراجة فى الفناء . فلما رأتنى مقبلاً اتجهت نحوى بدراجتها فى رشاقة حتى صارت على بعد أذرع منى ثم رفعت يمناها تحيينى ، فاختل توازنها ، واضطربت بها الدراجة ـ

فهرعت نحوها حتى حاذيتها ، فاعتمدت بيسراها على كتفى الأيسر مثفادية السقوط ، ونظرت إليها مؤنباً فطالعتنى بعينين ضاحكتين ، وقد شدت راحتها على كتفى وانغرست ركبتها فى قلبى ولم أسترد نظرتى فأدمت إليها النظر وقد لانت أساريرى . ثم ما لبثت أن ابتلعنى تيار عارم من الوجد والهيام فوددت بكل ما أوتيت من قوة وشغف لو ضممتها إلى قلبى . وجعل هذا القلب ينتفض كان ركبتها مفتاح كهربائى يسلط على شعافه تياراً عنيفاً . هكذا انقطع الشك وبرح الخفاء . وبعد لحظات كنت ماشياً فى طريق وقد انشغلت عن الدنيا جميعاً ، فلم أعد أشعر إلا بنفسى التى نبضت بحياة جديدة كدوامة ثائرة ، فأثملنى طرب دفين ، ولكن لم يزايلنى شعور بالتبعة والخوف والحزن . وجعلت أتساءل « إلى أين تمضى بى يا قدرى ؟ » نعم إلى أين ؟ ... فهذا طريق غير مأمون العثار ، فأين منى خطى الشباب وقلوب الفتيان ؟ ... وهل أنا إلا « عم حسن » فماذا يقول والداها العزيزان لو علما بما جد فى قلبى ؟ ... كيف يريان جارهما الرزين الوقور وقد انقلب عاشقاً ولهان ؟ ... بل مالى أنقل على قلبى بالتردد والمخاوف ، فلأقل مع قلبى إن هذا الحب شىء طبيعى لا غرابة فيه ، وإنه لن يكون الأول أو الأخير من نوعه ؛ بل سأفرض أن جارى العزيز بارك بعطفه ما يختلج فى صدرى ، فكيف لى بعد ذلك أن أحولها من ابنة إلى زوجة ! وكيف أجعلها تنظر إلى عمها حسن فترى فيه حبيبها حسن ؟ وضاق صدرى والتهب جبينى وذكرت الصلعة اللامعة التى أتوج بها هامتى ، والشيب الذى يحرق فؤادى ، وثلاث أسنان قد قلعت ، وسنة جديدة قد نفضت ، فأكملت مسيرى ممتلئاً شجناً وكآبة .

ولكن هل ارعويت ؟ ... كلا ... ففى اليوم الثانى جاءتنا إلى البيت خفيفة نشيطة كعادتها — وكانت أختى تصلى العصر — فأقبلت نحوى وجلست إلى جانبى يتألق ثغرها بالابتسام ، فأحدث مجيئها شفاء لما كنت أكابد من أوجاع الانتظار ، وهيج أسقاماً أنكى من هاتيك الأوجاع وأمر . وجدتنا منفردين فخلت أنى أنفرد بها لأول مرة ، وداخلنى اضطراب وقلق وهيام . ولم تكن أول مرة تخلو إلىّ وأخلو بها ، ولكن أجدت لى الخلوة هذه المرة شعوراً لا عهد لى به ، ووجدت فى أعماق نفسى حسيس أمنية يهمس لى لو تخلو لنا الدنيا كما تخلو هذه الحجرة ! ... لو تخلو فلا أخت ولا أب ولا أم ولا مخلوق سواها وسواى . هنالك تؤاتينى شجاعتى وتنجاب عنى الوساوس وتنحسر عن ناظرى غشاوة القنوط ... فمن لى بأن أطير بها إلى تلك الدنيا المقفرة ؟ ... وحولت إليها عينى فرأيت المرح والبراءة ، فثبتهما على وجهها المحبوب . وما كان أسعدنى رجلاً فى تلك اللحظة لو جثوت — أنا والأعوام التى أحملها على عاتقى — عند قدميها الصغيرتين مادا راحة راغب ضارع ... وشعرت بتحديق عينى فرشقتهما بنظرة صافية حتى أحسست الأرض تميد بى ، وتعمدت ما وسعتنى الحيلة أن أجعل لنظرتى معنى جديداً غير ما عهدت ، وأن أحمل عينى رسالة من أعماق الفؤاد لأجذبها من عالمها البرىء إلى دنيا آمالى وأحلامى . ولكن هل أدركت شيئاً ؟ ... هل بلغت الرسالة ؟ ... أما لو كان ذلك كذلك لتولاها الارتباك وخضبها الخجل ... فهل تعثرت فى الارتباك أو غض من طرفها الحياء ؟ اختلط على عينى الأبصار والتوهم واصطرع فى مجال إحساسى قوى الإدراك ونوازع الأمل . وعطفت رأسها عنى برشاقتها الخلوة فاستقر بصرى على خدها الوردى . وفى نشوتى وهيامى تجمعت وثبة الحياة الجارية فى كيانى فى رغبة واحدة لا تقاوم ... أن ألثم هذا الخد . وهوى عنقى نحوها فى ذهول الوجد فلثمتها ! والتفتت نحوى كالفزعة . ثم ضحكت ضحكة عالية ملأ رنينها أذنى ومشاعرى جميعاً ؛ ثم طوقت عنقى بذراعيها وقبلتنى فى خدى ! هل نلت المرام ؟ . رباه ! كانت قبلة اقشعر لسريان برودتها جسدى ، فجمد دمى فى عروقى ، وسكت قلبى عن الخفقان ، واحترق وجهى خجلاً . كانت الطفلة المرحة البريئة تقبل عمها حسن ، وكان مثلى كمثل مجنون عاد إليه رشاده فجأة فوجد نفسه متجرداً وسط قوم عقلاء . ألا ما أبعد الشقة بين الأفعال والنيات ! ألم تلتفت إلىّ فى رشاقة الغزلان ؟ ألم تطوق عنقى بذراعيها ؟ ألم تطبع على خدى قبلة ؟ ولكن أين من هذا كله الحب والولع ؟! وشق علىّ الخجل وشقت علىّ الخيبة ، وبينما راحت هى ، وكأنها نسيت كل شىء ، تروى لى ما شاهدت فى السينما أمس ، جعلت أحادث نفسى : رحماك اللهم ! ماذا فعلت ؟ أين جلدى وأين رشادى ؟ وتساءلت محزوناً : ألا يجمل بى أن أشد الرحال إلى بيت غير هذا البيت وحى غير هذا الحى ؟!

نجيب محفوظ